

الجمال في القرآن الكريم

مدخل وأُطُر – مفاهيم وتصرفات ، في ضوء نصوص تأصيلية ،

من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الجمال في القرآن الكريم

مدخل وأُطُر – مفاهيم وتصرفات، في ضوء نصوص تأصيلية، من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية *

الدكتور

عبد الحكيم العبد

مركز اللغات والترجمة – أكاديمية الفنون

يناير ٢٠٠٥م – ذو القعدة ١٤٢٥هـ

---

* هذا البحث المحدد فُصلة من كتابى/ فى محاولات تقديم القرآن الكريم وترجمته: عرض وتقييم وتقويم، مراجعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزعر الشريف فى ٢٠٠٤/٧/١١م (ملحق١، ص ١٠٤- ١٣٧)

فهرس

عصرنا والجمال فى القرآن الكريم (العِلْم - المفهوم – المجالات) - ٤ -

(١) الجمال فى القرآن الكريم (جمال عـنه)...................- ٦ -

(١١)جمال القرآن من حيث هو مقاربة ووحدة قيم .... - ١٩ -

(١١١) جمال القرآن الكريم / بلاغته .... - ٤٢ -

مقومات البلاغة في آية سورة هود عند ابن الأثير الحلبي .... - ٥٠ -

مدخـل :

عصرنا والجمال فى القرآن الكريم
(العِلْم - المفهوم – المجالات)

علم الجمال فى عصرنا :

الجمال فى عصرنا يعد علما أو يطمح أن يكون كـذلك؛ خاصةً فى الشق العام منه. ذلك أن شقه المتعلق بعبقرية اللغة العربية، شأن الجمال بخصوصه فى كل لغـة أو أدب علـى حدة، يظل منوطا بهذه اللغة أو هذا الأدب؛ حيث هو فيهمـا معرفة مستوعبة (ابستمولوجيا)، وقد توافر منه فى التـراث العربى أمران :

- نظرية مستوعبة فى الذوق والاعتقاد.

- وبلاغة بـالمعنى التكـاملى المسـتنير لمصـطلح البلاغة[1].
- ثم هو فى البعد الثالث بلا ريب مزاج مـن هـذين لدى التمثل أو التطبيق فى الفنون الإنسانية الجميلة والعملية بعد ذلك، وإن أثيرت صدده مشكلات.

على هذه الأوجه يمكننا رصد الجمال فى القرآن الكـريم فى أربعة أطر :

إطار "جمال عنه" فى ضوء قضايا الفن العامة، فى أفضل تجريد أو تنظيم لها فى البحوث العربية الجامعية اليوم.

إطار "جمال هو" من حيث هو وحدة قـيم ونظريـة فـى الذوق والاعتقاد.

- إطار "جمال فـيه"؛ أى بلاغـة وإعجـاز، كمـا سنربط.

---

١ - كتابنا / إحياء البلاغة العربية : تناول تحليلى ترابطـى علـى طريـق التأصـيل والتحـديث والعالميـة ، مـج٣ ، إيـداع ١٩٩٩م ، ٢١٢ (تطبيق نظرى وأيقونى علـى تعريـف عمـود الشـعر ، ص ٢١١، -وفى طبعة معدة ج١،ص ١٢٤،١٢٥)

- إطار "جمال به"؛ أى فيما يبدعه المسلم من فنـون إنسانية خاصة، من قبيل فن الخط والمعمار، ويلتزم فيه التصوير شروطا وفقوها دقيقة كما سنحيل.

(١) الجمال فى القرآن الكريم
(جمال عـنه)

فى إطار قضايا الفن :

الجدل الكبير "بين الفن والتصميم وبين المـنهج الـدينى"، بهذا التحديد فى دراسة الدكتور محمد عزت سعد، ومقدمِيـه متخصصى الفن : يحتم علينا – فيما نـرى أيضـا : درس الجمال الفنى درسا متعمقا : (علْماً وينبغيةً وقضايا – تأصيلاً ومعجما).

فخلافا لما يظنه كثير من الناس من " أن الفن والتصـميم من العلوم المكتسبة و(أنهما) ليسا من العلـوم الاقتدائيـة (أو أنهما) لا صلة لهما بالدين.."؛ ينص الفكر الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة فى مواضع كثيـرة – كمـا قـال الدكتور عمر النجدى فى إحدى مقدمتى كتاب محمد عـزت

سعد :على علوم الجمال الروحى (الوجدانى) والنفعى. اعتبر أيضا " أن الجمال الفنى من العلوم الإنسانية الرفيعة؛ وعـد محاولة المؤلف الأستاذ الدكتور محمد عزت الوفاء بموجـب هاتين الحقيقتين : الدينية والدنيوية معادلة صعبة.

فى كتاب محمد عزت ذى العنوان المتواضع أو المتحرج (خواطر فى الفن والتصميم حول آيات من القرآن الكريم)[2]، ومن أجل تحقيق ينبغية تسجيل مسئولية الميراث كمـا قـال عمر النجدى وهو أحد مقدميه [3]، ومن أجـل تحقيـق توقـع المستشرق المنصف " بايلى وايندر " لشعبنا الذى لـه عـن الماضى ، كما اقتبس المقدم حضارة يمكن أن تجعل عالمنـا اليوم أكثر حضارة [4] : عالج المؤلف الفاضـل رؤاه لآيـات عديدة من القرآن الكريم من منظورات معروفة فـى الفـن منها :

---

٢ - محمد عزت سعد محمود عزت / خواطر فى الفن والتصميم حول آيات من القرآن الكريم ، مركز النسر : نقابة مصـممى الفنـون التطبيقية ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٣ - الكتاب نفسه ، ص ١٥

٤ - توطئة تقديم النجدى للكتاب ، ص ١١

- التصميم – التنـوع – التلـوين – المورفولوجيـا (بمعنىضروب التصريف فى كل ما ذكر من ألوان خلق ا).
- النسبة – الهيئة – القبح – التباين – الظل – السمة (السيمانطيقا) - التنظيم – التكرار.
- إلى جانب الأسلوب، ويسميه فى عنونته " الفن " [5]، (ويقصد به ما يسميه البلاغيون " أسلوب الحكـيم، كما يقصد الصنعة الفنية فى الخِلْقة...وما إلى ذلك)؛
- وإلى جانب مبحث يسميه " الجنان " (ويقصد بـه : جماع ملكات العقل والوجدان وما يتضـمنه مـن ضمير .. محله القلب من الإنسان ")[6].

اعتبر المقدم الثانى للكتاب الدكتور أمـين شـعبان ذلـك محاولة من الدكتور سعد لكتابة مفاهيم مصطلحات الفن باللغة العربية مباشرة، دون النقل الحرفى عن النطـق الغربـى أو اليونانى :

---

٥ - نفسه ، ص ٢٣ +

٦ - نفسه ، ص ١٠٧

"خطوة واسعة نحو تحديد المفاهيم الصحيحة لبعض تلـك المصطلحات التى يتم تداولها فى مجالى الفن والتصميم، من واقع صحيح اللغة العربية ومفرداتها التى وردت فى القـرآن الكريم وآياته البينات التى (قال إنها) تناولت تلك المفـاهيم : إما بالتصريح وإما بالتلميح"، واعتبر المحاولة " نواةً لمعجـم عربى لألفاظ الفن والتصميم، خاصة أن المسلمين الأوائل هم الذين علموا العالم أصول تلك المعارف " [7].

معجم محمد عزت لألفاظ الفن والتصميم :

"بحثٌ عن المفهوم أو التصور concept الحقيقى للكلمات أو المصطلحات المتداولة فى مجال الفن والتصـميم... مـن خلال إشراقات القرآن الكريم وأضوائه".

مصطلح مفهوم (تصور) : خاصةً فى القـرآن والحديث:

انطلق فى مقدمته مما قد يغفَل عنه كبصيرة من نحو "ما فرطنا فى الكتاب من شىء" (٣٨ –الأنعام)، على نحـو مـا صنع عبد الخالق حسين : عرضا نظريا وخطا عربيا؛ ومن

---

٧ - نفسه ص ١٥ ، ١٦

حقيقة أن الإيداع أو الخلق خاصة إلهية ومنحة منـه تعـالى لبعض خلقه ﴿**أَم تُنَبِّئُونَه بِما لاَ يعلَم فِـي الأَرضِ أَم بِظَـاهِرٍ من الْقَولِ**﴾ (من ٣٣ - الرعد١٣).

انطلق من ذلكما إلى تعريف المفهوم والتصور وما يتفرع عنهما من اصطلاحات؛ وإن عد البعض المفهوم يعم ويشترك فيه بخلاف التصور الذى قد يحتمل التباين من شخص إلـى آخر حسب خبراته، وعد البعض الآخر كليهما بمعنى معرفى واحد [٨].

مصطلح الفن:معنى-خلقا–ووظائف- ومنظومة

بالمعنى الذى أطلق حديثا فى لفظ art موافقا لمـا "يـدلنا القرآن الكريم (عليه) فى ٠معارض) سرده لقصـص الأمـم السابقة منذ خلق آدم وحتى نزول (القرآن الكريم) على قلـب

---

٨ - المعنى بصفة عامة "ما هو إلا الصورة الذهنية من حيث وضـع بإزائها اللفظ" مفردا أو مركبا . "انتقاش" : عقل نظـرى منفـوض عنه اللواحق الغريبة ، بتعبير الفارابى .

- أما المعنى كمفهوم فهو "الصورة الذهنية ، سواء وضع بإزائها اللفظ أم لا" ؛ فكأنه بمعنى concept . كتابى / النقد البلاغى العربـى عند عبد القاهر الجرجانى ، ١٩٩٢م ، ص ١٦٦

رسول ا محمد صلى ا عليه وسلم"، مبينـا فـى ضـوء الآيات والتاريخ أن تحريم القرآن لعبادة المخلوقات الإبداعية إنما كان بسبب انحراف فهم السابقين أو تصـورهم لطبيعـة عملية الخلق المخلوق إلى عبادة هذا المخلوق حـين "تشـابه الخلق عليهم" (١٦من – الرعد -)، بظاهر من القول" ٠(٣٣ – الرعد)؛ لا للتصوير وما إليه من حيث هو قدرة موهوبـة من ا لحكمة وإن خفيت [9].

عرض فى ضوئه آيتى الأعراف (١٧٢، ١٧٣) البادئتين بخلق الذرية من ظهور بنى آدم والمنتهيتين باستعفاء عقلائنا من أن يؤخذوا بما صنع المبطلون، واستعرض من أمثـالهم "الذى حاج ابراهيم فى ربه" (النمرود) – قوم ثمود النـاحتين من الجبال بيوتا، اغتروا بقدرتهم عليها ولم يعقلـوا معجـزة تحديهم بخلق ا للناقة الحية – فضلا عمن "كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد" وغيرهم من علـى أيـديهم وبإغراء الشيطان "خرج الفن... عن مقتضيات الحقيقة"، حتى فى عصر النهضة فى أوروبا بدايات ق١٥ وما تلاه من فـن

---

٩ - محمد عزت ، نفسه ، ص ١٧ - ٢٢



"انطلق من عقال العقيدة ولم يصبح له وظيفة تذكر إلا إلهـاء البشر عن خالقهم".

وذكر مضلة ربط الإبداع بالشيطان ووادى عبقر وما إلى ذلك؛ واقفا على الخيار الإسلامى بالربط بين الجميل والطيب فى الفن، "زينة ا التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . ولعلنا لم نذهب بعيدا عن نتائجه هذه نفسها فى بحثنـا فـى "التصوير فى الإسلام" من طريق الحديث الشريف وما إليـه قبل.[١٠]:

ذكروظائف : تركير التجربة الحياتية، عـرض التجربـة وجلائها، تفسير التجربة وشرحها بالحس الجمال Aesthetic Sensibility، والتفضيل الجمالى Aesthetic Preference ، الخلاق الجمالى Aesthetic Creation أوالتكوين الجمالى Aesthetic Synthesis ، والقدرات التعبيريـة و التـذوق الجمالى Aesthetic Concershio؛ بـل "تجربـة حيـاة"، ضرب من ضروب المعرفة، علم حينا، فضلا عن أنه حسن ونماء فى الشجر وما إليه كما فى المعجـم العربـى ونـص القرآن فى سورة الرحمن.

---

١٠ - كتابنا / القيمة فى المسرح والفنون : عروض توصيفية حية وتأريخية وتناول نقدى تذوقى قيمى فى المسرح والرسم والباليه والميثولوجيا ، مع مدخل أيديولوجى إسلامى وآليات لمشكلة التدنى ، قسم التصـوير فـى الإسلام ، ص ١١٥ - ١٢٨ ؛ مودعا سـنة ١٩٩٩م تحـت عنـوان : دراسات وشجون فى المسرح والفنون ...

وفى ضوء آراء غربية موافقة تماما يقدم المؤلف تصميم Erwin Dman١٩٣٩ لـ"منظومة الفـن" التـى تتضـمن تكثيفا وتوضيحا وتأويلا لـ "خبرة انسانية من واقع تجربـة حياتية" يضع على قمتها "القيم السامية للإنسان" وفى أساسها أو قاع التصميم معايشة مستمرة".[١١]

▪ مصطلح التصميم :[١٢]

ما صدق هذا المصطلح أسوة بسائر ماصدقات الاصطلاح الجمالى الإنسانى متحقق فى آى القرآن الكريم من قبيل مـا صدر به المؤلف من قوله تعالى فى الآيتين :

﴿هلْ أتَى على الإنْسان حِين من الدهر لـم يكُـن شَـيئًا مذْكُورا إِنا خَلَقْنَا الإنْسان مِن نطْفَةٍ أَمشَاجٍ نبتَلِيـهِ فَجعلْنَـاه سمِيعا بصِيرا﴾ (١-٢ الإنسان ٧٦) وغيرهما متعمقا شـرح ما يتضمن من مصطلحات " أمشاج" – ماهيـة التصـميم – Ontology of Design – Genetic Engineeringوما إليها وإن تكاثرت التعريفات والتفريعات بمرور الزمن.

---

١١ - محمد عزت ، نفسه ، ص ٢٣ – ٥٠

١٢ - نفسه ، ص ٥١-٨٢

رأى "الإطار الذى يبدو فيه مصطلح التصميم والفلك الذى يدور فيه يظل ثابتا "..فى معنى أنه نشاط إنسانى ابتكـارى يسعى إلى تحقيق الأهداف السامية للمجتمع من خلال توظيف قدرات المصمم لابتكار الأشياء التى تتواكب باستمرار مـع تغير احتياجات الإنسان وتعدد ميوله ورغباته". وفـى حالـة الخلق الإلهى يعول مصطلح التصميم نفسه بما نتعمقـه فيـه حديثا من معانى : (إلى معنى خلق "فـى أحسـن تقـويم "، بيولوجيا جزئية أو " شفرة نقشت على مستندات التصميم فى الأشياء التى يصنعها الإنسان أسوة أو استلهاما لفعل الخـلاق العظيم.

مصطلح الجنان :

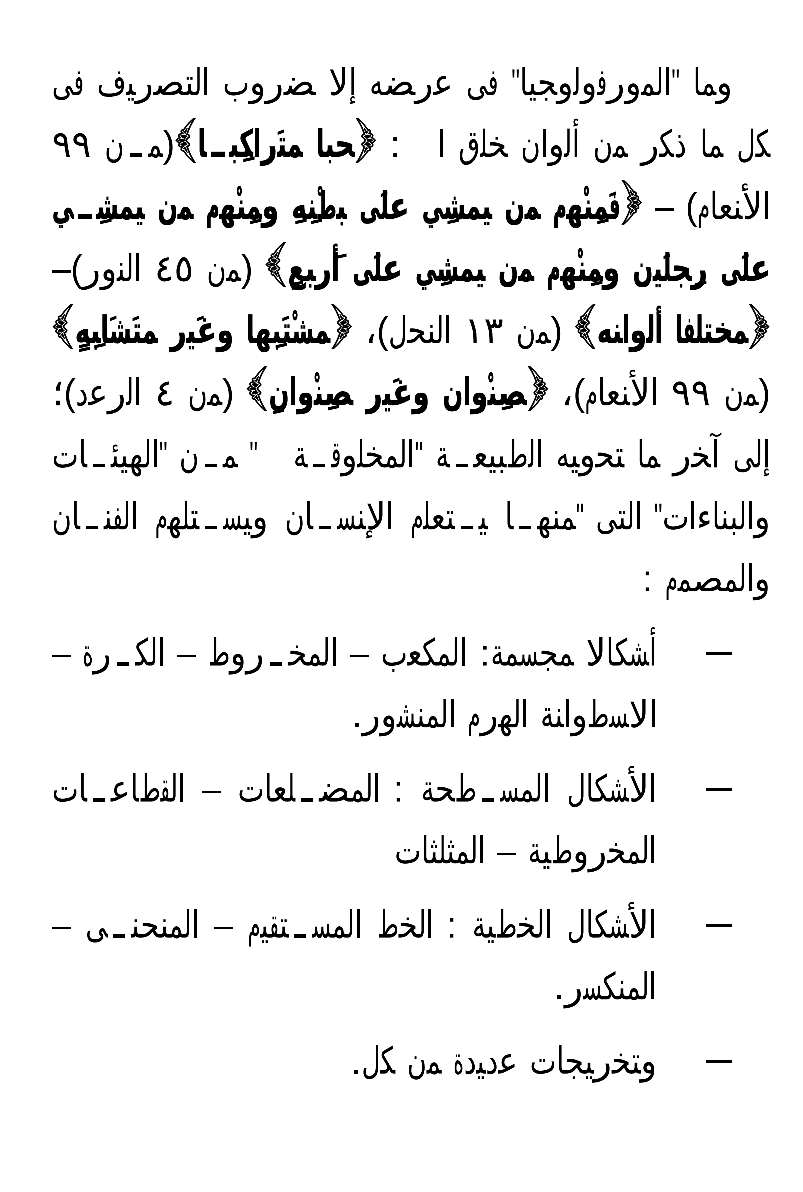
بما ذكرنا عنه مما داخله من مدلولات العقل والقلب واللب والفؤاد الخ؛ وعرضنا لها من وجهة نظرنا فى مبحث "القرآن من حيث هو وحدة قيم".

مصطلح التنوع :

خَلقـا : كلمات لا تنفد (٢٧ لقمان – ٩، ١٠ الكهف)؛ جمع وقرآن يتبع (١٦-١٨، القيامة – ٢ العلق – ٤٥، ٥٩ آل عمران - ٨٢: يس – ١٧١: النساء – ٢٨:٢٧ فاطر) -؛ إلى ما يداخل هذا المصطلح الجامع من مصطلحات دالة واصفة من قبيل : "الطلاقة فى الخلق والتنوع – الطبيعة كمنهل، أو نبع صاف يتتلمذ عليها فى مجال التصميم وبناء الميكانيزمات – المواد الحيوية Bio materials الخ.

مصطلحا التلوين – المورفولوجيا :

بمتنوع خلق ا أنواعا وألوانا ومذاقات وكيوفا ومواد وأشكالا ووظائف وأصواتا وطبائع فى صريح متوافر قول المولى من قبيل ما لم يضن به المؤلف من مقتبسات : ﴿**خَلْقُ السماواتِ والأرضِ وما بث فِيهما مِن دابةٍ**﴾ (من ٢٩ الشورى) - ﴿**مختلفا ألوانه**﴾ (من ١٣ النحل) – ﴿**وربك يخْلُقُ ما يشَاء ويخْتَار**﴾ (أول ٦٨ القصص) - ﴿**يزيد فِي الْخَلْق ما يشَاء**﴾ (من ١ فاطر) – ﴿**وقَدر فِيها أَقْواتَها**﴾ (من ١٠ فصلت) – ﴿**ما تَرى فِي خَلْق الرحمن مِن تَفَاوتٍ**﴾ (من ٣ الملك) – ﴿**بلَى وهو الْخَلاقُ الْعلِيم**﴾ (آخر ٨١ يس) - الخ. وقد زاحمت إيراداته العلمية المتقدمة الوفيرة أيضا.



وما "المورفولوجيا" فى عرضه إلا ضروب التصريف فى كل ما ذكر من ألوان خلق ا : ﴿**حبا متَراكِبـا**﴾(مـن ٩٩ الأنعام) – ﴿**فَمِنْهم من يمشِي علَى بطْنِهِ ومِنْهم من يمشِـي علَى رِجلَين ومِنْهم من يمشِي علَى أَربعٍ**﴾ (من ٤٥ النور)– ﴿**مختلفا ألوانه**﴾ (من ١٣ النحل)، ﴿**مشْتَبِها وغَير متَشَابِهٍ**﴾ (من ٩٩ الأنعام)، ﴿**صِنْوان وغَير صِنْوانٍ**﴾ (من ٤ الرعد)؛ إلى آخر ما تحويه الطبيعـة "المخلوقـة " مـن "الهيئـات والبناءات" التى "منهـا يـتعلم الإنسـان ويسـتلهم الفنـان والمصمم :

- أشكالا مجسمة: المكعب – المخـروط – الكـرة – الاسطوانة الهرم المنشور.
- الأشكال المسـطحة : المضـلعات – القطاعـات المخروطية – المثلثات
- الأشكال الخطية : الخط المسـتقيم – المنحنـى – المنكسر.
- وتخريجات عديدة من كل.

ويخلص المؤلف إلى أن ما بـين أيـدينا إلـى الآن مـن "الأشكال الأساسية فى الطبيعة والتـى تتشـارك فـى بنـاء المخلوقات، حيث لا يوجد الخط المستقيم هى :

- التفرع.
- التعرج.
- التلاوب.
- العقدة الثلاثية (التسديس).
- التكور وشبه التكور.
- المخروطات.

وما هى حقا إلا بمثابة حروف فى كلمات الإبداع الإلهـى الذى لا ينفد، مما يجب أن يعلم الفنان أنه كائن مسخر مـن قبل المولى عز وجل من خلال التجربة الحياتية له وخاصـة الجمالية لكشف مواطن الجمال والإبداع والروعة فى خلـق ا ورصد مفردات ذلك الإبـداع ومورفولوجيتـه وجـلاء وتفسير تكوينه؛ وليس مخلوقا ملعونا يمكن أن يدمغ أعمالـه بالكفر والإلحاد " [١٣].

---

١٣ - محمد عزت ، نفسه / العبارة ص ١٣٦

(١١)

جمال القرآن من حيث هو مقاربة ووحدة قيم ونظرية فى الذوق والاعتقاد

هنا أيضا الجمال متحصلا من القرآن أو عنه من حيـث هو فقه بلاغى غائى محصل فى العناصر المذكورة، على ما نفصل أيضا :

مقاربة الجمال القرآنى :

هذه مقاربة بمعنى التعامل بلا واسطة مع صـريح لفـظ الجمال فى القرآن الكريم ومعارض وروده، وذلك مثلا :

- حيث يصف مباشرة مظاهر تـنعم بنعمـة مسـداة كالأنعام فى الرواح والسراح.
- وكذا فيما هو خُلُق نفسي : فى الصبر والصفح.
- فضلا عن كونه معاملة مترقية حتى فـى تسـريح النساء وفى هجر المؤذين.

قال تعالى :

﴿**فاصبر صبرا جميلاً**﴾ (٥ ك المعارج ٧٠).

﴿**وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**﴾ (٨٥ ك الحجر).

﴿**قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان**﴾ (١٨ ك يوسف ١٢).

﴿**قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا**﴾ (٣٨ ك يوسف ١٢ -١٥).

﴿**واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلاً**﴾ (١٠م المزمل ٧٣).

﴿**فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلاً**﴾ (٢٨ م الأحزاب ٣٣).

﴿**فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلاً**﴾ (٤٩ م الأحزاب٣٣).

﴿**ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**﴾. (٦ ك النحل ١٦).

- هذا الجمال تحتمله بعض مضامين الزينة فى (١٣) صيغة ، توزعت فى (٤٦) مرة فى معانى :
- سىء الأعمال وسىء العبادة والصـفات والغوايـة والعيش وأبهة الحكم وسىء التزين أو إبدائه وكناية عن جسد المرأة أو بعضه.
- وفى جميل الطبيعـة والمظهـر والامـتلاك والأبهـة والاعتقاد والتبنى والاقتناء والاحتفال والتحلى بالحلى.[١٤]

---

١٤ - يضىء لنا ذلك بلا ريب ورود اللفظ بصيغ عديدة فى الحـديث النبوى الشريف :
- "إن ا جميل يحب الجمال " (وروى الجميل) (موثقا بمسلم وابن ماجة فيما يلى)
+" إن ا يحب الجمال "
- " ولرجل ستر وجمال "
- إنى رجل حبب إلى الجمال وأعطيت منه ما ترى "
- ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب "
- " فيعجبه مالها وجمالها "
- " إذا كانت ذات جمال ومال "
- " إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد"
- " ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال "

فيما بين جميل الجمال وقبيحه :

فيما بين جميل الجمال وقبيحه، حلال الزينـة وحرامهـا، حوار لا نستغرب أن يوصف بأنه درامـى يتغيـى تحقيـق معادلة ينبغية أو محاكاة لما ينبغى أن يكون، بلغـة مـا زال يتغياها كل إبداع وإن أطال وقصر شيئا ما.

- " مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال "
- ط مسح وجهه ودعا له بالجمال "
- " تنكح على دينها ومالها وجمالها "
- " إن بك من الجمال والطيب أفضل ما فارقتنا عليه "
- " ذكرتْ من حسنها وجمالها "
- فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا "
- " اللهم جمله وأدم جماله "
- "بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل "
- " رسول ا غير اسم عاصية قال : أنت جميلة "
- " عليه امرأة جميلة شابة "
- " لقلما كانت امرأة جميلة تكون عند رجل "
- " والرابعة حسنة جميلة "
- وزوجة حسناء جميلة "

{ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ونشره د. أ . ى . ونسنك ، أستاذ العربية بجامعة ليدن - مطبعة بريل فى مدينـة ليـدن - الجزء الأول : أ – ح

أما فى الإسلام فوجازة معروضها فـى القـرآن الكـريم تجعلها شديدة الوقع قوية الأثر؛ فما بالنا إذا عززت بحـديث وحوار من حديث الرسول صلى ا عليه وسـلم وصـحابته الأبرار :

ففى صحيح مسلم عن محدثين فى سلسلة إلى عبد ا بن مسعود رضى ا عن النبى صلى ا عليه وسلم قـال : "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال صلى ا عليه وسلم : " إن ا جميل يحب الجمال " الكبـر بطـر الحق وغمط الناس" [15] .

---

١٥ - صحيح مسلم ، دار بن الهيثم ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص٣٣ (باب ٣٦ ، من كتاب الإيمان برقم (١) بدءا من ص ١٥،.

- وفى ابن ماجة نص "عن عبد ا قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلم "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل مـن كبـر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل مـن إيمـان" / بـاب الإيمان (٩) ص ٢٣ ط المكتبة العلمية ، بيروت مجلد ١ .

- وفى مظان الحديث جملة بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، مجلـد ١ ، ص ٣٧٣ ورد / وروى الجميل (مسلم / إيمان ١٤٧ – ابن ماجة / دعاء ، ١٠ – أحمد بن حنبل / ٤ ، ١٢٣ ١٢٤ / ١٥١ .

بطره هنا بمعنى دفع الحق ورده عـن صـاحبه وغمـط الناس : استصغارهم واحتقارهم .

قال تعالى بالتوازى مع ذلك ناهيا عن التكبر والتبختر :

﴿ولاَ تُصعر خَدَك ِللناسِ ولاَ تَمشِ فِي الأَرضِ مرحـا ِإن ا َ لاَ يحِب كُلَ مخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (ى١٨ لقمان ٣٤).

وضرب سبحانه وتعالى مثلا بقارون فـى قومـه وبهـم مفتونين بثرائه وزينته وعلى لسان ووعاةٍ ناصحين فى سورة القَصص : قال :

﴿إِن قَارون كَان مِن قَومِ موسى فَبغَى علَيهِم وآتَينَاه مِن الْكُنُوزِ ما ِإن مفَاتِحه لَتَنُوء ِبالْعصبةِ ُأولِي الْقُوةِ ِإذْ قَالَ لَـه قَومه لاَ تَفْرح ِإن ا َ لاَ يحِب الْفَرِحِين * وابتَغِ فِيما آتَـاك ا ُ الدار الآَخِرةَ ولاَ تَنس نَصِيبك مِن الدنْيا وأَحسِـن كَمـا أَحسن ا ُ ِإلَيك ولاَ تَبغِ الْفَساد فِي الأَرضِ ِإن ا َ لاَ يحِـب الْمفْسِدِين * قَالَ ِإنما ُأوتِيتُه علَى عِلْمٍ عِنْدِي أَولَم يعلَـم أَن ا َ قَد أَهلَك مِن قَبلِهِ مِن الْقُرونِ من هو أَشَد مِنْه قُوةً وأَكْثَر

- وفى مجلد ٥ ، ص ٤٥٧ بالمعجم المفهرس بلفظيات : "أحد" ، "حبة خردل" ، "من كبرياء" أحال على مسلم / إيمان ١٤٧ – ١٤٩- أبو داوود / لباس ٢٦ – ابـن ماجة / مقدمة ٩ ، زهد ١٦ – أحمد بن حنبل / ٢ ، ١٦٤

جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ (ى ٧٦ – ٨٤ ك القصص ٢٨) الكبر والإبهار والانبهار بجمال هو محض نوع سلبى للزينة، مقصوص أو مسرود ومحاور؛ ومعادلٌ جماله الخادع بجمال أجلى وأبقى، منصورٍ بتصديق العاقبة. وفى ذلك المستوى من السرد؛ بل هاتيك المستويات فى المستوى السردى القرآنى الذى لا يقلد أو يتكرر، وقفنا على عروض للباقلانى ولنا ولبعض المستشرقين وغيرهم. فى السرد القرآنى خاصة يقول ثروت أباظة ناعيا تقصير مؤلفينا فى التأليف فى أسلوبية القرآن والوعى بجمالياته :

" وقد كان الأجدر بنقادنا أن ينتبهوا إلى هذه الفنيـة فـى السرد القصصى فى القرآن الكريم، ويقومـوا عنـى بهـذا الكتاب. "

أى كتابه الذى توج حياته العامرة به " السرد القصصـى فى القرآن الكريم "[16].

الجمال ووحدة القيم فى القرآن :

معنانا من أن الجمال فى القرآن الكريم فقه بلاغة كاملـة أنه لا يفصل / أو لا تفصل بين_الموضوع والشكل، ولا بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة؛ إذ إنها تعمد إلى إقناع الناس عقلا وقلبا، وتسيطر على النفس بالقيمة الخلقية المتحدة مع سائر القيم فى كل عمل : أدبيا كان أم طبيعيا أم عمليـا، بدرجة تبرر الأثر الذى وجدناه صدى لها فى حدس الكاتـب الأدبى الإسلامى والناقد المستوعب أحمد حسن الزيات عـن الإسلام جملة : القرآن الكريم، والنبى الخاتم وحديثه سـلوكه وعن التشريع وغيره.

---

١٦ ثروت أباظة / السرد القصصى فى القرآن الكريم ، مؤسسـة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م ، ص ٣ .

فى كل ذلك وحدة لا انفصام لها بـين القـيم والمقـولات العليا : الحق والخير والجمال [17]، الذى يضطرب التعريـف به والتنظير له فى الفنون الغربية ولا سيما فى علاقة الفـن بالمنفعة، كما بينا فى بحث آخر [18].

- رسالتنا للماجستير / الجهود البلاغية عند أحمـد حسـن الزيـات ، آداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٦م ، ص ٨١ – ٨٤ + ١٢١ - ١٢٩

١٨ - كتابنا / القيمة فى المسرح والفنون : عروض توصـيفية حيـة وتأريخية ، وتناول نقدى تذوقى قيمى فى المسرح والرسم والباليه والميثولوجيا ، مع مدخل أيديولوجى إسلامى وآليات لمشكلة التدنى ؛ إيداع ١٩٩٩م تحت عنوان / دراسات وشـجون فـى المسـرح والفنون : عروض ....الخ

وراجع به تتبعنا المستقصى لتعبير الفنون الجميلـة ص ٧ ، ٨ أو ص ١٠ – ١٢ فى ط٢ المعدة ؛ ومنه :

تتوارد **لفظ القيمة** دلالة على معانى التذوق الفنى والصلاح الثقافى وما إلى ذلك - لفظ القيمة وضمنا فيما تلا مـن تعريفـات لمصـطلح الفنون والفنون الجميلة ، محملا معانى الجمـال لغيـر النفـع – الاتزان – المنظور – خلق له معنى ووظيفة إلخ .

أى أننا خصصنا مفهوما للقيمة بغير تحلل من الالتزام وبغيرالمعنى الكمى السـعرى الصرف ؛ ودون تجاهل أيضا " للقيمة " بمفهومها كـ Axiology فـى علـم الجمال Aesthetics حديثا ، حيث تعنى نظرية القيمة بدراسة المبادئ العامـة للنقد الباحث فى الفن بمختلف مراحله وتنوعاته .

وحقا وجدنا السماحة الذائقة فى القرآن الكريم وفى النقـد العربى الأصيل ولاسيما فى مدرسة أدباء الكتاب والمتكلمين الأشاعرة، كما وجدنا أن صلة الإبداع بالأخلاق لا تمنعه بل

هناك وهاهنا إذا مفهوم للقيمة بمعنى كيفى دال على الصورة والأسلوب حين يحققان متعة صافية {غير منغصة بافتعال أو صدم للروحـى والبناء بلا مبرر} .

- وحقا وجدت مدلول " الفنون الجميلة " ملتبسا في مصادره نفسها :
- فقد تعلق تعبير " **الفنون الجميلة** " Fine Arts كمصطلح في معجم " وبستر " بالجمال أكثر من تعلقـه بالمنفعـة " Beauty rather than utility في الخزف والموسيقَى عادة ، وفي الرسم والنحـت والمعمار إلي حد محدود .
- كذا وجدته في طبعتـي الموسوعة البريطانية ١٩٦٦ و ١٩٦٨ .
- أما في دائرة معارف الفن المعتمد كليا علي النظر فالمفهوم من عنوانها أنه فن منظور في ترجمتنا لـ Visual Art لعدم الالتباس.

؛ وهو المفهوم الذي وجدت سمته في كتاب " الفنون التشكيلية وكيـف نتذوقها " ، وفي الموسوعة العربية " محيط الفنون مج ١، الفنـون التشكيلية" أيضا . وعنها أوردنا الاعتبار بالرسم علي المخطوطات العربية واستبعاد فنون الإثارة الرخيصة.

- كذا وجدنا كتاب بيرنارد مايرز يقيد الفنون التشكيلية بحواس البصر واللمس والاتزان في خلق له معني ووظيفة .

تقتضيه أن يصور الحقيقة عارية أحيانا أو مستبشعة ولكنهـا تسمو بنا أيضا. وفى القرآن الكريم – مع جلالة قدره – أمثلة لذلك : كتصويره إغراء امرأة العزيز أمام تشبث يوسف عليه السلام بموقف العفة والوفاء، وكتصويره كشف ملكة سبأ عن ساقيها فى حضرة نبى، وكتصويره موقف موقف الصـلاح لأحد ولدى آدم أمام جسد مقتوله الأخ، وغير ذلك كثير ممـا لا يقبح إنشاده على ما سيلى تطبيقه فى مبحث (النزاهة) فى الهجاء القرآنى [١٩].

---

١٩ - كتابنا / القيمة ..نفسه ، قسم " الحب والتمرد فى باليه كـارمن " ص١٥٢ – ١٥٥

+ قسم "تواضع العظمة فى رسم جويا " ص ١٣٨ – ١٤٣

+ وراجع مقالنا : أدباؤنا لم يتعمقوا الواقعية الكاشفة فوقعوا فى بـراثن الواقعية الداعرة ؟ صحيفة القاهرة ، عدد ٤٢ ، الثلاثاء ٣٠ / ١ / ٢٠٠١م – ٥ من ذى القعدة ١٤٢١هـ

- وعرضنا عن فتحى الإبيارى بكتابنا / الأدب البيانى والقصة العربية فـى النقد الحديث ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٩ ، ص ٨٣ – ٨٧

+ مقالنا : بين الواقعية الكاشفة والواقعية الداعرة : تدقيق وملاحظـات (غير منشور)

لذلك غلب استخدام لفظ " القلب " فى القرآن الكريم للدلالة على ما نفهمه من القلب والعقل معا :

- فوردت كلمة القلب فيه مفردة ومثنـاة ومجموعـة ومسندة {١٣٧} مرة.
- بينما وردت كلمة العقل على هذه الأنحاء {٥١} مرة فقط
- كما اجتمعت الكلمتان مرتين على الأول، فأسـندت فعل العقل إلى القلب فى :

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهـم قلـوب يعقلـون بها﴾[٢٠]

- واجتمعت الكلمات لتدل على التفاعل بينهما فى :

﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتـى ذلـك بـأنهم قـوم لا يعقلون﴾[٢١].

---

٢٠ ى٤٦ – الحج٢٢

٢١ ى١٤ – الحشر٥٩

مظهر هذه الوحدة فى القرآن الكريم ماثل فى مثل ما مر من قوله تعالى :

﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾.

وهى التى تجمع إلى الزينة النفع، كما فى قوله تعالى :

﴿**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**﴾

إلى ما رصده العلم الحديث من قيمة الوظيفتين : الجمالية والعملية فى مثل القول القرآنى المتمم للآية الأولى :

﴿**وجعلناها رجوما للشياطين**﴾.

وهى النجوم القاذفة التى ترى فى الليل، ولا ينفك البعـد الكونى فيها عن البعد (المـاورائى : الميتـافيزيقى)؛ لأنهـا متعبدة للخالق العظيم :

﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾.

والقرآن الكريم يسند العقل إلى القلب كما يسند العمى إلى القلب الذى لا يعقل، كما يدل على الجمـال والمنفعـة فـى الأرض والسماء؛ فقد مد ا الأرض وجعل فيها رواسى أن تميد، وأنبت فيها من كل زوج بهيج، وجعل نجوم السـماء؛ كما خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم

مودة ورحمة، وجعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وخلـق الخيل والبغال والحمير ركائب وزينة، وفرض عليهم السـير فى الأرض للسياحة والارتزاق والتأمل والاعتبار كما مر.

الجمال : نظرية فى الذوق عند المسلمين :

١- الذائقة البلاغية عند من ذكرنا من أدباء الكتاب و متكلمى أهل السنة ذائقة حاضرة دائما فيما كتب أو ألف من تحليلات مفصلة للنصوص ومن جدل قصد. بلغ أوجه وحسمه عند الإمام أبى الحسن الأشعرى (٣٣٠ هـ) ووجد تطبيقه الجمالى الأدبى عند غير واحد أبرزهم عبد القاهر الجرجانى، ولا يعدم راشدو المتصوفة أنفسهم منه نظرا وتطبيقا من قبيل ما يلى عند الغزالى.

٢- بعض النظر البلاغى الضمنى عند الغزالى (٤٥١ – ٥٠٥ هـ) [٢٢]:

---

٢٢ - هذا المبحث فى الذائقة الأشعرية عند الغزالى موثق أصـالة بكتابنـا / النقـد البلاغى العربى عند عبد القاهر الجرجانى....، دار المطبوعـات الجديـدة .، اسكندرية ١٩٩٢م ، ص ٣٠ - ٣٣(بعض النظر البلاغى الضمنى عند الغزالى) ؛ وما زدناه من توثيق هنا مشار إليه بالهامش أيضا .

الذائقة البلاغية للغزالى ذائقة حاضرة دائما فيما كتـب أو ألف، وإن كان من مبدئه – وهو مبدأ أشعرى – الاقتصاد فى التقسيم والتدقيق إيثارا للتأثير بنهج أقرب إلى نهـج القـرآن الكريم فى المحاجة والجدال بالتى هى أحسن .

بيد أنه قد توافر للغزالى نظام مـن المحـاورة والتنظـيم الكلامى الذوقى العقدى : نظرا وتطبيقا ويشمل :

- تعريفه اللفظ لغة واستعمالا (تفرقته بـين المعنـى اللغوى والمعنى المجازى).
- الذوق وحاجة الإدراك الإنسانى إلى التأويل.
- الإدراك بالتكنية عن طريق الاستعارة والرمـز ح على ما فى مصطلحاته من سـبق علـى مرحلـة التحديد الاصطلاحى بعده.
- عين المعنى أو مثله هو باب الكناية عنده.
- الوجه البلاغى للاستعارة.
- المجاز العقلى والتشبيه التمثيلى.
- قال منتهجا النهج العلمى بالتعريف باللفظ فى اللغة وفى الاستعمال ؛ وذلك صـدد تفسـيره العـروج الوارد فى الآية الكريمة :

﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (من ى ٣ + ى ٤ + بعض ى ٥ - المعارج ٧٠)؛ وما إليها بطبيعة الحال من مظان ورود اللفظ المكرر فى القرآن الكريم (ثمانى) مرات فى معنى الصعود وما إليه :

- "اعلم أن حقيقة العروج الصعود علوا. تقول عرجت فى السلم أعرج ".

- ثم قال فى التفرقة بين المعنى اللغوى والمعنى المجازى أو ما يسمى المعنى الأولى والمعنى الثانوى بتعبير الجرجانى (عبد القاهر) وبتعبير من عصرنا الحديث نفسه :

والألفاظ لها وجهان من الدلالة : -

- فوجه فى الدلالة على الأشياء الجسمانية كمفهوم السلم والعروج.

- والوجه الثانى : الدلالة على معانى الجسمانيات وأرواحها؛ إما بطريق وضع اللغة، وإما بالمجاز والاستعارة..

فسر المعارج لغة بأنها درجات السلم، ومجازا بـالبراهين الموصلة. وقال : " لما كان السالك الباحث إلى معرفة باريه تعالى طالبا للترقى عن ظلمات الجهل وأسفل السـافلين مـن حضيض البهائم والجهلة، وكانت البراهين والأدلة الموصـلة الموصلة إلى درجة العلوم شبه السلم الجسمانى الموصل إلى العلو الجسمانى، وكانت مفردات البراهين ومقدمات القيـاس وأجزاؤه مادة له منها يتألف حاكت أضـلاع السـلم؛ فـإذا التسمية لا مشاحة فيها : إذ هى مفيدة ".

وبنفس المنهج اللغوى البلاغى الذوقى العربـى المعلـل الواضح فسر مجموع التشبيهات المتفاعلـة فـى الصـورة التمثيلية القرآنية الرائعة فى قوله تعالى :

﴿أو كظُلُماتٍ فِي بحرٍ لجي يغْشَاه موج من فَوقِـهِ مـوج من فَوقِهِ سحاب ظُلُماتٌ بعضها فَوقَ بعضٍ إِذَا أَخْرج يده لَم يكَد يراها ومن لم يجعل ا ُ له نُورا فَما لَـه مِـن نُـورٍ﴾ (ى ٤٠ – النور ٢٤).

قال : " فعبر عن الاعتقادات الفاسدة بالظلمـات، وعـن ترادف الشكوك بترادف الموج ".

ذلك أن إلمام الغزالى بحدود الإدراك الإنسـانى وتـدرج المسلمين من الجمود إلى درجات من التأويل أحوجـه إلـى إعمال ذوقه الأشعرى فى تأويل الصفات الإلهية، وهذا دعاه إلى بعض التناول التنظيرى التطبيقى البلاغى. وهو جهـد – وإن كان جزئيا بالنسبة لأعمال الغزالى الأخرى – يدل على استمرار جهد الأشاعرة فى التعويل على الذوق البلاغى فـى أعمالهم.

قرر الغزالى أولا أن من وسائل الإدراك " التكنية بسـبيل الاستعارة والرمز "، ثم بين ثانيا القيمة (البلاغية) لذلك، وهى فى تعبيره ط ليكون وقعه (الكلام) فى قلب المسـتمع أغلـب وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الأمر فى قلبه ". ثم وقف ثالث على ما يعرف فى البلاغة بالكناية والاسـتعارة، وهـو يفهم عنده من الأمثلة كما يفهم من التعريف ضـمن مسـاحة حديثه الخاص ومنه ما وقف عليه من فرق ما بـين الكنايـة والاستعارة.

- أورد مثالين :

" رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير "

– وقول الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك	متقابلان علي السماك لأعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر	ويخيط صاحبه ثياب المقبل

هذان المثالان باعتبار قوله : " عين المعنى أو مثله " فى باب الكناية البلاغى، إذ تعريف الكناية فى ذلك العلـم عـادة أنها (الدلالة على المعنى بلفظ غير ما وضع له فى الأصـل دون مانع من إرادة المعنى الأصلى)، كما فى قولنـا : لغـة الضاد نعنى العربية ح إذ هى متضمنة للضاد فى أصـواتها بطريقة خاصة بها حقا ح وذلك مباينة للاستعارة التى هـى أيضا (التعبير عن المعتى بلفظ غير الذى وضـع لـه فـى الأصل ولكن مع وجود قرينة مانعة من قصد المعنى الثـانى على الحقيقة.)

– كما وقف الغزالى على الوجه البلاغى للاسـتعارة. ومن أمثلة ذلك عنده :

– حديث : " إن المسجد لينزوى من النخامة.." [٢٣]

– وحديث : " أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمـام أن يحول ا رأسه رأس حمار " [٢٤].

– قال الغزالى : " وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن ". يعنى من حيث الواقع ومن حيث المعنى المجازى.

---

٢٣ - (مشار إليه بصيغة " النخاعة ، النخامة فى المسجد ، بـالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النوى ، ج ٢ ص ٤٢٧ ربطا بـ : أبـو داوود / أدب ١٦٠ – ابن ماجة / مساجد ١٠ ، أدب ٧ – أحمد بن حنبل ٩٣ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٣٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ ، + ٥ : ٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٦٠ ، ٣٥٤ ، ٢٥٩)

٢٤ - (فى صحيح مسلم : صلاة ، ١١٥ ، ص ٩٠٩معنعنا إلى أبـى هريرة ، قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلم : " مـا يـأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الإمام أن يحول ا صورته فـى صورة حمار"). (وفى صحيح مسلم نفسـه : صـلاة ١١٦ ، ص ١١٠ : نسبة إلى حديث الربيع بن مسلم : " أن يجعل ا وجهـه وجه حمار") . وفى توثيق بالمعجم المفهـرس لألفـاظ الحـديث النبوى ج ١ ، ٥١١)

كذا فرق بين المجاز العقلى والتمثيل :

- فعد فى الأول تمثيله بحديث : " قلب المؤمن بـين إصبعين من أصابع الرحمن " (بصيغة : " قلب ابن آدم على أصبعين من أصابع الجبـار" / المعجـم المفهرس لألفاظ الحـديث النبـوى.، مـج ٥، ص ٤٥٤).

قال : لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصـابع، فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع ". وقد تعمق أكثر من ذلك الدلالة على معنى الأصابع خاصة؛ إذ التعبيـر بها "أعظم وقعا فى تفهم تمام الاقتدار "، وعـد ذلـك " روح الكناية الخفى ". وهو المنحى الذى أفاض فيه عبـد القـاهر على طريقته فى كتابه " أسرار البلاغة ".

أما التمثيل فى معرض حديثه فضربان: تمثيـل صـورة وتمثيل حكاية حال :

- الضرب الأول : يمثله عنده قوله تعالى :

﴿أَنْزَلَ مِن السماءِ ماء فَسالَتْ أَودِيةٌ بِقَـدرِها﴾ (الآيـة)، وبقيتها : **﴿فَاحتَملَ السيلُ زبدا رابِيا﴾** (ى ١٧ – الرعد).

– والضرب الثانى تمثيل حكاية الحال. وطأ بمثـل : "قال الجدار للوتد.."، ليعد من الضرب قوله تعالى :

﴿ثُم استَوى إِلى السماءِ وهِي دخَان فَقَالَ لَها ولِـلأَرض ائْتِيا طَوعا أَو كَرها قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِين﴾ (ى١١ فصلت).

﴿وإِن من شَيءٍ إِلا يسبح بِحمدِهِ﴾ (ى٤٤ – الإسراء).

وقف الغزالى عند هذا الحد من الإبانة البلاغية؛ لأنه رأى لأرباب.

المقامات إسرافا واقتصادا، وذكر فى الطرفين : أحمد بن حنبل والفلاسفة : الأول : لتوقفـه الـذكى عـن التأويـل، والفلاسفة لتأويلهم كل شـىء؛ فضـلا عـن مقـام القصـد الأشعرى، ومقام الزيادة المعتزلية. وهى مقامات عنتنا فـى مجال علم الكلام أو علم التوحيد فى بحث آخر [25] . ومن هنا عد الغزالى الأخذ من السمع المجرد فحسب ممـا لا يسـتقر معه قدم : بمعنى أنه يحتاج إلى ذوق فى فهمنا عنه. والذوق ميزة واضحة فى تنظيرات الغزالى وتطبيقاته البلاغية حقـا، كشف به – مع من ذكرنا أسرار المجاز لب الجمالية الأدبية

---

٢٥ كتابنا / علم الكلام فى الإسلام : قضية محورية بين النقد والبلاغة والأصول والفلسفة ، ط ١٩٩١ م

العربية ك ما تتفق فيه مع كل اللغات وما تنفرد بحيازته من بيان أرفع فى إعجاز القرآن الكريم ورشد العقدية الإسـلامية غير الجامدة على ظاهر اللفظ وغير المتجاوزة للقرائن.[٢٦]

- يبقى ما نعنيه بجمال القرآن من حيث هو كتاب أى معجزة نص وتبيان، وله خصصنا كتبا عـدة فـى البلاغة، نجتزئ منها ما سيلى فى القسم الثالث.
- كما يبقى تأصيل لتطبيق ذلك فى الفنون الصـناعية (الإنسانية)، وهو ما خدمناه ضمنا بربط بمتاح فـى موضوع التصـوير فـى الإسـلام، باعتبـار أن التصوير وغيره من الفنون الإنسانية له حكمه فـى الإسلام، ويمكن أن يزدهر به الفن والإبداع بشروط خاصة.

---

٢٦ - كتابنا / النقد البلاغى العربى عند عبد القاهر الجرجانى : تبيان وعرض ومناقشة فى أنساق منهجية حديثة ، ط ١ دار المطبوعات الجديدة ١٩٩٢م ، ص ٣٠ – ٣٤

(١١١) جمال القرآن الكريم / بلاغته
(الجمال فى القرآن من حيث إنه جمال فى نصه)
من التنظير إلى دليل للتطبيق
(ضرورات وتساؤل وتناول)

فى الضرورات المنهجية وما إليها :

١- الأوجه التطبيقية للجمال القرآنى أو لأسراره مباشراته قد غطت مجالات عدة فى الإبداع الإلـهى قرآنا وكونا عامرا ماثلا كما مر؛ كما غطت الإبداع الإنسانى : كلاما وخطاً وعمارة ونسيجا؛ كما لم يحرم آثاره ا الترتيل والإنشاد والغناء والموسيقى على أنحاء خاصة؛ وكذا الرسم أو التصوير الذى أحيل على بحثى التنظيرى الأصولى فيه: بجدليته أو إشكاليته؛ كما سأحيل على متكاثر تنظيرى وتطبيقاتى فى الجمال القرآنى بمصطلحات البلاغة التى تكفلت به حقا، كما ينبغى أن نعيد التقدير.

فى ذلك الفصل - ورغم ما حاولت به فى التقديم والصلْب من توفير أساس تنظيرى للدراسة فى جملتها :علما ومفـاهيم ومجالات؛ فإنى لم أُخْلِه، أو لم أستطع أن أخْلِيه مـن عديـد الأمثلة والشواهد والتطبيقات كما مر.

كذلكم الضرورة فى هذا القسم الثالث؛ فإنه رغم اعتبـاره أخص بأحد أوجه التطبيق للجمال القرآنى الكريم، وهو الوجه الإعجازى البلاغى؛ فإنه قد أعوزنى لجلال الموضوع وجِدته _على الأقل على مستوى طرح مجمعى معان مشـكور [٢٧] _ أقول أعوزنى إلى اصطناع صـلة بـين التنظيـر السـابق والتطبيق الحالى؛ كما أعوزنى الطرح القيم نفسـه إلـى أن أقصر التطبيق على القرآن الكريم : كُلاً وسورا وآيات وحتى حروفا. ولعل من الجديد فى هذا الصدد أيضـا اصـطناعى الرسم الأيقونى فى سبر الجمال القرآنى فى آية سورة هـود، كما سأحيل ضمن رؤوس موضوعاتى آخر هذا الفصل؛ أى كما فيما تعدد فى أبحاثى الأخرى.

---

٢٧ - مجمع اللغة العربية / مسابقة فضـيلة الشـيخ محمـد متـولى الشعراوى القرآنية ، المسابقة القرآنية وموضوعها " الجمال فـى القرآن الكريم : مفهومه ومجالاته ، مـع نمـاذج تطبيقيـة مـن الأساليب القرآنية" (إعلان ، صحيفة الأهـرام ، فـى ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٤م (مسابقات) .

٢- هل مباحث البلاغة شىء آخر غير الجمال فى النصوص؟ :

عنيت بقولى جمال أنه كمال إبداع أو جمال نص يستكنه ويعال للمتذوق بمفاتيح علمية فنية لغوية أى بلاغية هى من الوفرة والإحاطة بمكان فى علوم البلاغة العربية متكاملة من معان وبيان وبديع وإعجاز؛ حيث مفاتيح الشق الجمالى المتعلق بعبقرية اللغة العربية؛ وما أصله الكتاب العجيب فيها وما يزال وسيظل : منوطٌ بهذه اللغة وأدبها؛ حيث هو فيهما معرفة مستوعبه (ابستمولوجيا) بلاغة بالمعنى التكاملى المستنير لمصطلح البلاغة كما وطأنا [٢٨].

---

٢٨ - فى التناول الجمالى الحديث للنقد والأدب العربيين على العموم بما فيهما درس البلاغة والإعجاز تتوافرت عدة دراسات منها :
- الأسس الجمالية فى النقد العربى للدكتور عز الدين اسماعيل
- مفهوم الجمال فى النقد الأدبى : أصوله وتطوره للدكتور أحمد عبد السيد الصاوى . صدر سنة ١٩٨٤م
- مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجانى ١٩٨٨م للصاوى أيضا .
- فصلنا : الفلسفة البلاغية للجمال والفن عند أحمد حسن الزيات ، برسالتنا الأولى / الجهود البلاغية عند أحمد حسن الزيات ١٩٧٦م ٢٨ .

ولنا الآن سيطرةٌ على مصطلحاتها الثرية، وفقوه متعمقـة لها [٢٩] وتصنيفٌ لها على مستويات ثلاث : مستوى الـ دقائق

- وفصلنا فى الجمال عند مصطفى صادق الرافعى برسالتنا الثانية : تطـور النقـد الأدبى فى مصر فى الربع الثانى من القرن العشرين ، ١٩٨٥م ، وغير ذلك / فى توطئة لقسم " التصوير فى الإسلام " بكتابنا / القيمة فى المسرح والفنـون : عروض توصيفية حية وتأريخية وتناول نقدى تذوقى قيمى فى المسرح والرسم والباليه والميثولوجيا ، مع مدخل أيديولوجى إسلامى وآليات لمشكلة التـدنى ، ص ١١٨ ، ١١٩ ؛ مودعا تحت عنوان : دراسات وشجون فى المسرح والفنون ... ١٩٩٩م .

٢٩ - احتمال المصطلح البلاغى للمدلول الجمالى فى الدرس النقدى البلاغى العربى أمثل لهذه الرؤية من أبحاثى ببعض الفقوه الاصطلاحية :

- من هذه الفقوه فقه لمصطلح " الوصف " : فقد ورد بمعناه الشامل متناولا " جميـع المعانى ٠والفنون) النظمية والنثرية – حتى القصص والأخبار "٢٩ ،. فرق ابن الأثير بين هذا الوصف بالمعنى النقدى العام وبين الوصف بالمعنى الحسى ، كما فرق بينه وبين التشبيه ؛ وأوضح مفهوم الوصف بالصفات الخاصة فى فنـون المدح والرثاء والفخر (نحو من مثل قول المبرد : " المدح لا عن تغير العقول " ، ومن قول محمد مندور عن الوصف بصفات الماهية عند هوميروس ؛ فمـا بالنا ونحن نعلم بوجود مدلول خطير للوصف كمصطلح بديعى – لابد أن نعـده جماليا بأقصى مدلولات الجمالية تنوعا ؛ لأنه يصلنا بمذاهب الشعرية المتدرجة من أولى درجات التجريد الحكيم عن الواقع إلى ما عددناه من قبيل اللامعقـول أوالسريالية والفانتازيا وذلك تحت مصطلح يمنطق مدلوله أو يسطح كثيرا هـو مصطلح " حسن التعليل فى علم البديع ".

الإبداعية، التى ظلمت البلاغة وبالتالى الإعجاز بدعوى عدم خروج الدرس البلاغى منه، ومستوى السمات العامة، الـذى نعيد به اكتشاف العناية بالنظرة الكلية فى العمل البليغ مهمـا يكن، ثم مستوى القيمة، الذى يثبت به أيضا للقـرآن الكـريم شأوه الذى لا يبارى، كما فى عرضـنا التحليلـى الأيقـونى التالى لآية سورة هود، من متعدد محاولاتنا السابرة بمتقـدم الوسائل وأصيلها فى نفس الوقت :

﴿وقِيلَ يا أَرض ابلَعِي ماءكِ ويا سماء أَقْلِعِـي وغِـيض الْماء وقُضِي الأمر واستَوتْ علَى الْجودِي وقِيلَ بعدا للْقَـومِ الظالِمِين﴾ (ى ٤٤ من سورة هود).

- عرض ابن الأثير الحلبى (٦٣٧هـ) بدائعها البالغة أكثر من عشرين، كما عرضها ابن أبـى الإصـبع (٦٥٤هـ)، وقدمتها طبقاً لأنساقى هكذا :

أولاً : على مستوى الدقائق الإبداعية :

مطابقة : بين " أرض : و " يا سماء ".

مقابلة : بين "يا أرض ابلعي" و"يا سماء أقلعي".

المناسبة : بين " ابلعي " و "أقلعي".

مجاز : في قوله " ويا سماء "؛ والمراد : يا مطر.

استعارة : ممن يعقل الطلب كالإنسان للسماء؛ وهـي في حكم الجماد.

صحة التقسيم : في ثلاثة فصول متواليات يا أرض ابلعي.. ويا سماء اقلعي وغيض الماء؛ فإنـه تعـالى استوعب أقسام الماء في حالة نقصه.

التسهيم : أول الآية "يا أرض ابلعي" اقتضي آخرهـا "ويا سماء أقلعي".

التعليل : فإن غيض الماء علة الاستواء. في حالـة نقصه، إذ ليس إلاحتبـاس مـاء السـماء، واحتقان ماء الأرض وغيض الماء وحاصل.

إرداف : قوله " استوت " كمل المعني.

الإيضاح : في "للقوم" يبين أن القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة؛ حيث قال : "وكلمـا مـر عليه نفر من قومه سخروا منه".

تمثيل : في " وقضي الأمر " حيث بسط التعبير عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظة فيها بعد عن لفظة المعني الموضوع له.

الإشارة : في "وقضي الأمر" وفي : "وغيض الماء".

التهذيب : لأن مفردات الألفـاظ موصـوفة بكمـال الحسن وكل لفظة سهلة مخارج الحـروف، عليها رونق الفصاحة وحسن البيان.

التمكين : لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنـة في مكانها.

ثانياً : علي مستوي السمات العامة :

الوصف : لأنه تعالى قص القصة ووصفها بأحسـن وصف بحيث استعمل نعوت ألفاظها وصفات معانيها.

تمثيل آخر : في الوصف السائد في الآية كلها : حيـث تركب من صور متحركة وتشبيهات متعددة.

حسن النسق : لأنه سبحانه وتعالى عطف قضايا بعضـها على بعض.

المساواة : لأن لفظ الآية مساو لمعناها.

الإيجاز : لأنه سبحانه قص القصة بلفظها القصـير مستوعبا المعاني الجمة (ولاحظ جمعه بـين المساواة والإيجاز في العرض).

ثالثا : على مستوي القيمة :

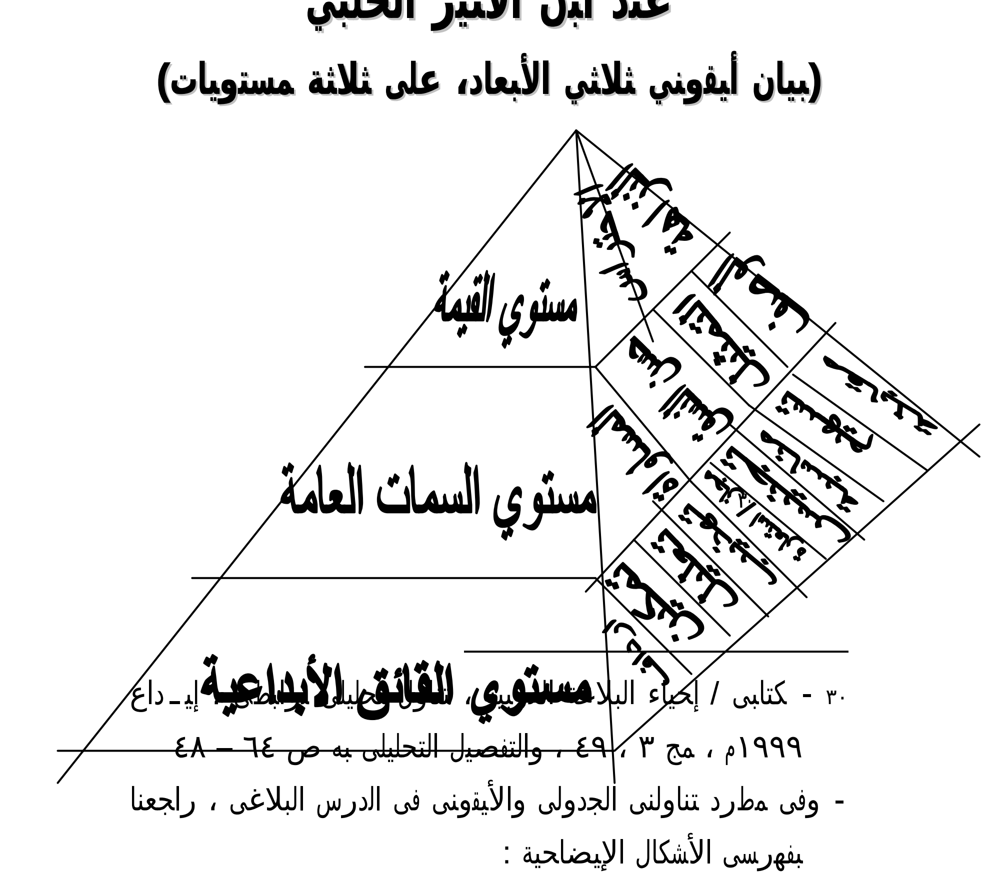
الاحتراس : عن أن ينصرف الدعاء إلي غيرهم؛ وهـو أيضاً الذم لهم خاصة والدعاء علـيهم بهـذه الآية المعترضة.

النزاهة : في التلاطف فـي ذم هـؤلاء. (والنزاهـة) ضرب من الهجاء العف في أسلوب القرآن الكريم ونقف عليه أيضاً.

مقومات البلاغة في آية سورة هود

عند ابن الأثير الحلبي

(بيان أيقوني ثلاثي الأبعاد، على ثلاثة مستويات)



٣٠ - كتابى / إحياء البلا[illegible] إبـداع ١٩٩٩م ، مج ٣ ، ٤٩ ، والتفصيل التحليلى به ص ٦٤ – ٤٨

- وفى مطرد تناولنى الجدولى والأيقونى فى الدرس البلاغى ، راجعنا بفهرسى الأشكال الإيضاحية :

- -ملاحق دراستنا / النقد البلاغى العربى . ص ٢٦٠ – ٢٦٨ .

دراستنا / إحياء البلاغة ، مج ٢ ، إبداع ١٩٩٩م ، ص ٢٤٩ + فهرس إحياء . مج ٣ ، ص ٢٤٥

جمعة العناية بقضية الجمال الأدبى :

ولعل ما أورده هنا خلال بعض دراسات الدكتور أحمـد عبد السيد الصاوى يمثل جمعة العناية بهذه القضـية عنـده وعند أساتذته وبعض زملائه. ومن الجميع الدكتور عز الدين اسماعيل وغيره ممن ممن التقوا فى درس الدكتور الصاوى فى منظوره الجمالى لعبد القاهر الجرجانى :

- جدول بيان وجه الإعجاز فى تصنيف الحروف الفواتح عند الباقلانى ، بالفصل الثالث بهذه الدراسة .
- وفى مطرد تناولنا لمصطلحات البلاغة والنقد وما إليهما من إعجـاز وعلم نص وتواز أو تقارن فى الدرسين العربى والغربى ، انظر :
- مج ٢ برمته ، لقيامه على تقنيات علم البلاغة العربية فـى البيـان والمعانى والبديع
- معجم الاصطلاح النقدى البلاغى الموازى : عربى / غربى (نحو معجـم أكمل للخطاب الأدبى العالمى Parallel Rhetorical Terminology / كتابى إحياء البلاغة ، مج ٣ ، إيداع ١٩٩٩م ، ص ١٥٧ +
- وفى "الوصف" كمصطلح بلاغى ، انظر الإشارة السابقة .

أ- نظرية النظم نظرية فى الجمال الأدبى : عرفت بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى، كما رادفت فى الاصطلاح بين النظم وبين البيان والإبداع فى رؤية خاصة استخدم فيها كل منها "جمعة لعلوم البلاغة". [31]

فعند الصاوى نظرية النظم " لا تعدو أن تكون نظرية فى الجمال الأدبى :

ويمكن أن نتجاوز تفاصيل رؤى حتى لنحو من نظرية الفن للفن فى النقد والأدب العربيين عند الصاوى وعندنا إلى :

ب- طبيعة مذهب الصنعة أو النظم أو المعنى بتعبيرات متوافقة عند عبد القاهر؛ أو فلنقل الإبداع الأدبى (الذى لا يمنعنا من أن نجله فى القرآن الكريم عن البشرية) والتى أو الذى ينصب درسه فى الدرجة

---

٣١ - كتابى / النقد البلاغى العربى عند عبد القاهر الجرجانى ، ١٩٩٢م ، ص ٥٧

- و كتابى / إحياء البلاغة العربية : تناول تحليلى ترابطى ، إيداع ١٩٩٩م ، مج ١ ، ص ١٣١ – ١٤٦ (الفصل السادس) .

الأولى على الشكل الذى أصبح المحتوى جزءا منه لا يتميز عنه... وهى طبيعة لا تظهر إلا من خلال طريقة العرض ونظام العبارة، مما يؤثر فى المتذوق ويجعله يعى وعيا ذا خصوصية وتميز ما يؤدي به إليه (الأدب.......) من قيمة؛ حيث " إن عناصر هذه الصناعة هى العناصر الفنية التى يعتمد عليها جمال العمل.

سمى ذلك طريقة التوصيل " أو " التقديم (وقـال الفنـى) المؤثر". "المتعة التى تكمن وراء تكامل الشكل " الخ.

ج- طبيعة الحكم الجمالى ومفاتيحه : أما " طبيعة الحكم الجمالى عند عبد القاهر... فحكم مبرر معلل أو موضوعى لأن " له مفاتيحه الموضوعية":

- تركيز كامل على العمل.
- عودة إليه.
- تأمله مرارا دون إقحام أو اندفاع.
- انتقال من الجزئية إلى الكلية.
- ومن الذوق الشخصى إلى الذوق القائم على الفهـم والاتحاد بالنص فى عالم جمالى واحد.

وهو منظور رآه أيضا موافقا للبنائية الحديثة :

- كلية النظرة.
- منطق عمل.
- قواعد رمز.
- تحليل استنتاجى.

وإبراز الكيفية (التى لم تمنع موضـوعية نظـر النقـاد والبلاغيين العرب من التفرقة فيها بين الشعر وبين الأخلاق والعقائد). وعد ذلك نفسه معيارا عندهم، وإن لم يكن الأمـر بهذه البساطة البادية فى تعبير تفرقة وفصل الخ.

وليثبت الباحث ضمنا أن الجمال والصنعة والمعنى كلهـا تدور حول محاور.

د- محاور درس الجمال الأدبى :

- الذوق المثقف.
- موضوعية الجمال.
- التأمل.

- العلاقات، ويقصد بها : عناصر النظام النحوى فى نظرية النظم.
- سمة الوحدة.
- الخيال والاستجابة الجمالية[٣٢].

٥- نماذج تنظيرية وتطبيقية فيما تناولناه بكتابنا هذا وغيره :

- التقعيد للنظرة الكلية فى القرآن الكـريم (منطلـق للتصحيح).
- الوحدة تنتظم القرآن كله.
- كلية النظرة إلى السور ومجموعتها وإلى المطولات الشعرية عند الباقلانى قديما.
- الوحدة فى السورة القرآنية عند سيد قطـب و فـى الدرس الحديث.
- بين المعنى الجزئى والصورة المتكاملة.

---

٣٢ - كتابنا نفسه ص ٤٧ ، ٤٨

- بمحض المقارنة الذائقـة و الإحصـاء المجـرد : إعجاز النص القرآنى للنص الجاهلى حقيقة ملموسة (مقابلة الصورة الجاهلية بالصورة القرآنية).
- الاستقصاء ودراسة الصورة الأدبية المتكاملة فـى القرآن الكريم.
- النظرة التحليلية لنظم القرآن الكريم عنـد مسـتوى الصورة.
- نظر فى الإعجاز القرآنـى فـى فـواتح السـور المخصوصة عند الباقلانى وعندنا.
- النقد اللغوى لأسرار البيان فى القرآن الكريم يوفق إلى استخراج توجيهات قيمية نفسـية واجتماعيـة قديماً وحديثاً.
- عند مستوى الملمح البديعى.
- الموسيقى والظلال فى الأسلوب القرآنى.
- ميزان الجمال البلاغى والقرآن (مقابلات جمالية).
- الروعة الجمالية للقرآن فـى نظـر المستشـرقين (استكشاف بمصطلحات مقاربة)، كما رأينـا فـى الفصل الثالث).

- اصطناع الرسم الأيقونى فى سبر الجمال القرآنـى فى آية سورة هود، وما أشرنا إليه صددها فيما مر.
- التصوير فى الإسلام : مشكلة - تنظيرات – توفيق (جمال به فيما يبدعه المسلم مـن فنـون إنسـانية خاصة) فى كتابنا القيمة فى المسرح والفنون.

هكذا فإن الفرق كبير بين الاسـتمتاع الجمـالى المثقـف البصير وبين التلاذذ الحسى أو اهتزاز التطريب العابر.

ففى الروضة القرآنية - مثل، وفوق ما يلـزم مـن ذوق مثقف وحس سليم للفنون المعتبرة أو المحترمة - يلزمنا تهيؤ أخص وعدد أدق. ولا بأس بخبراتنا الدنيوية والعلمية والفنية الدنيوية فى هذا الصدد؛ بل هذه فى هذه الحالة ألزم؛ حيث لا سبيل لفهم الأغرب الأروع أو الأجمل إلا سبيل ذوق القريب والعالى من الجمال مهما كان نوع المبدع الجميل ووسائطه. (ألم أستخدم تقنية الرسم الأيقونى فيما أحلت عليه فى بحوثى فى البلاغة وهو من تقنيات علم النص والعلوم الاجتماعيـة الحديثة، ومن ذلك ما اصطنعته لسبر أبعاد آية سورة هـود وغيرها، ضمن ما استخدمت من تقنيـات أصـيلة وغربيـة شتى؟)

ووفق صحيح مقولة السكاكى، صاحب مفتاح العلوم فى البلاغة وما إليها، تلك المقولة التى تنزه مستمع القرآن ومتذوقه عن الوقوف منه عند حد الطرب والعجب من حلاوته وطلاوته المعروفتين، كما هو غالب شأن المسلمين وبعض من تناولنا من المستشرقين، وكما كان شأن بعض المخضرمين. كما وثقنا فى المقدمة.

حاولتُ بتقنيات جديدة وقديمة الوفاء بما أعوزنى مقدمو القرآن وغيرهم إليه، وصنفته فى صدر هذا الملحق فى :

أُطُر جمال القرآن : (عنه، وهو، وفيه، وبه):

فى ضوء علم الجمال الحديث، وضوء البلاغة والإعجاز، وبحث خاص فى قضية التصوير فى الإسلام؛ استوضحتُ بها جميعا موضوع هذا الملحق الرئيس : الجمال فى القرآن الكريم : مفهومه وتصرفاته ومجالاته، وفاء ببعض حاج القرآن إلى الإدراك المجدد، وحاجِ إعجازه إلى البينة الناصعة؛ فضلا عن حاجة الجمالية الإسلامية نفسها إلى التنظير والتنظيم، كعلم ناشئٍ شكلا، عريقٍ موضوعا.